الحاج حسيب عواضة : تجربتي مع العمل الاجتماعي الخدماتي

بدأت ممارسة العمل الاجتماعي منذ العام 1956، عندما كنت في السادسة عشرة من العمر، بعد أن تركت المدرسة آنذاك، لأتحمل مسؤولية متابعة العمل التجاري الذي كان يمارسه والدي، على أثر إصابته بحادث في العمل أدى الى إعاقته مدة تزيد على ثلاثين سنة. ورغم هذه المسؤولية وأنا التاجر الشاب آنذاك، والمسؤول عن أسرة مؤلفة من أب وأم وثمانية أولاد، كنت في مقدمة المجموعة التي تعمل على جمع"ليرة" من التجار في مدينة النبطية، ومن المتمولين، و أصحاب المصالح المنتجة... وذلك لمساعدة الفقراء و المحتاجين من الاخوة الفلسطينين الذين تهجروا قسراً من فلسطين بإتجاه مدينة النبطية، وأقاموا فيها، وكانت أحوالهم آنذاك تتطلب المساعدة لتأمين الحاجيات الضرورية، كالمواد الغذائية ومتطلبات السكن و الأدوية ... كونهم تركوا بيوتهم قسراً وهرباً من الحرب، والتدمير، والقذائف الصاروخية التي استخدمها يومذاك الإستعمار الداعم لليهود، والذي وعدهم بوطن قومي يهودي في الشرق الأوسط، تمثل بدولة فلسطين المغتصبة .

استمر العمل الاجتماعي لهذه المجموعة ، ولمجموعات أخرى تابعت هذا النوع من النشاطات ...

عشت سعادة داخلية ، يصعب وصفها، وارتحت لها في هذا العمل الخيري ، لايضاهيها أية سعادة أخرى سوى واجبي كمعيل لأسرتي وتأمين متطلباتها الحياتية والإفتخار بذلك.

شرعت جمعية الكشاف العاملي على سد الثغرات الموجودة في مدينة النبطية، على أثر نكبة فلسطين، التي أثرت سلباً على الاقتصاد ، وقد استطاعت تأمين المساعدات لبعض المحتاجين . لكن تفاقم الوضع الصحي والاقتصادي والاجتماعي دفعنا أنا ومجموعة من شباب النبطية

(لأهمية العمل الجماعي) الى التحرك لإخراج المدينة من هذا الكابوس، فقمنا بالتواصل مع بعض المغتربين الذين لبوا النداء، و كان لهم دور اساسي في بلسمة الجراح، واعادة التوازن الى الوضع الاجتماعي ... وفي عام 1969 تمكنا من الحصول على ترخيص لجمعية تعنى بالشأن العام، فكانت جمعية هيئة الخدمات الاجتماعية التي كان لي الشرف أن أكون من الأعضاء المؤسسين، ولاحقاً الأعضاء الاداريين ، وحالياً رئيساً لهذه الجمعية ، التي ساهمت ولا تزال في سد ثغرة في الواقع الاجتماعي والاقتصادي الصعب.

في العام 1988 تأسست في مدينة النبطية جمعية هيئة حماية البيئة والحفاظ على التراث، وكنت أيضاً من المؤسسين ، ثم من أعضاء الهيئة العامة ، وحالياً ضمن هيئتها الادارية، مسؤولاً للعلاقات العامة للأندية.

في العام 1996 بدأت هيئة تكريم العطاء المميز ممارسة نشاطاتها التكريمية، وحصلت على العلم و الخبر في العام 2000 ، وقد انضممت الى هيئتها العامة في العام 2016، بعد أن استحدثت ضمن نشاطاتها تكريم البيئة ، وتكريم المجتمعات كتكريم جبل عامل... وقد انتخبت في هيئتها الادارية في العام 2018. ولا نزال نتابع نشاطاتنا ، رغم الأوضاع الاقتصادية والمالية الصعبة، والآن وفي ظل أوضاع كورونا، لازلنا نتابع النشاطات التكريمية، فكان تكريم الاغتراب اللبناني، وتكريم بعض المتميزين في أدائهم لأدوارهم الاجتماعية في الميادين التربوية والثقافية والفنية ... ونحن الآن نصدر مجلة الكترونية "مجلة معرفة وعطاء" وقد صدر منها العدد الأول في تموز 2020 ، ونحن بانتظار صدور العدد الثاني في كانون الثاني 2021.

علاوة على ما تقدم مشاركتي المتواضعة في عضوية و نشاطات وخدمات جمعيات أخرى، كجمعية تجار النبطية، وجمعية الكشاف العاملي، وأيضا جمعية التعاضد الخيرية ولجنة عاشوراء وغيرها ...

ورغم أن هذه المشاركات كانت تستثمر وقتي الخاص ، فإنها مثلت لي الهواية الأساسية التي تسعدني، وتشعرني بأنني أسعى الى ممارسة تعاليم التربية الاسلامية، التي تتطلب المساهمة في تحقيق التكافل الاجتماعي في مجتمعاتنا . وقد توصلت، من خلال هذه التجارب المتعددة التوجُّهات، الى استنتاج وتحديد نقاط أساسية تساهم في إنجاح و تطوير العمل الاجتماعي الخدماتي في كل الميادين.

1-ماهو العمل الاجتماعي؟

هو العمل الذي يقوم على عدد من المبادئ الانسانية التي تساهم في دعم ومساندة المجتمعات، كمواكبة مساعدة البشر في حياتهم إبان الحروب والنكبات والأوبئة ... وغالباً ما يكون هذا النوع من العمل الاجتماعي تطوعياً لكي يعطي مردوده الخدماتي، فيطال كافة الميادين، ويسعى الى مساعدة الفقراء والمحتاجين وكبار السن و المعوزين و المعوّقين، عن طريق تأمين أسباب وأساليب العيش الكريم لهم. وكذلك نشر المعرفة بالأساليب والوسائط المختلفة .

2-مقومات العمل الاجتماعي:

يحتاج أي عمل كي يؤدي فائدته المرجوة للفئات والشرائح المجتمعية على اختلاف انواعها، وخاصة العمل في الميدان الاجتماعي الخدماتي، الى مقومات محددة تظهر فاعليتها، في هذا المجتمع أو ذاك ، ومن هذه المقوّمات :

- أن يكون جماعياً يقوم به عدد من الأفراد، ولا يتحمل أعباءه فرد واحد، وأن يرتكز على القيادات المحليّة (من داخل المجتمع).
- أن يهدف الى تحسين فرص الحياة الاجتماعية، وزيادة معدل الإعالة وتحسين مستوى المعيشة، وهذا يتطلب معرفة دقيقة لأفراد المجتمع.

- يحتاج الى استخدام الأساليب والأدوات التي تتوافق مع ثقافة المجتمع، والتي تساعد في ضمان نتائج جيدة للوصول الى الأهداف المرجوّة. دون الدخول في صراعات مع قوى الأمر الواقع، الأمر الذي يؤدي الى تعطيل العمل الخدماتي.
- الإعتماد على الإحصاءات والمعلومات والحقائق ، عن طريق عمل ميداني دقيق، أو الإستعانة بدراسات سابقة والإستفادة من نتائجها.
- الإعتماد في القيادة ، على الأختصاصيين الاجتماعيين المؤهلين علمياً (نظرياً وعملياً)، لأداء مهام معينة في العمل الاجتماعي.
- إيقاظ الوعي العام في المجتمع الذي يمارس فيه العمل الاجتماعي، و خاصة حول المشكلات التي تعالج في المجتمع، وإظهار مدى خطورتها وآثارها السلبية ، والنتيجة التي ستوصل المجتمع اليها في حال عدم معالجتها.

3-أهمية العمل الاجتماعي الخدماتي:

لقد أضحى العمل التطوعي في عصرنا الحالي ضرورة من ضرورات الحياة، لما له من رسالة اجتماعية هدفها المشاركة في تنمية المجتمع، وتعزيز تماسكه، وخاصة أن الحكومات باتت تعوّل عليه كشريك لها في مسيرة البناء التي تنشدها في كل الميادين الاجتماعية . هذا العمل الضارب بجذوره في عمق التاريخ، ضمن إطار الجماعة التي تقتضي التعاون معها، ومساعدة من هو بحاجة للمساعدة. وقد ظلت هذه القيمة مترسخة في الإنسان و ساهمت الحضارات الإنسانية في ترسيخها والرفع من شأنها ليبقى هذا النوع من العمل قيمة انسانية .

4-الأهداف التي يؤديها أو يسعى الى ادائها العمل الاجتماعي في كل الميادين.

تسعى الجمعيات ومؤسسات العمل الاجتماعي ومراكز الخدمة الاجتماعية والأندية الى تحقيق عدد من الأهداف الخدماتية التي تحتاجها المجتمعات، لمحاربة الفقر والحاجة والحرمان، والى تطوير الأنظمة... وعلى سبيل المثال لا الحصر، نذكر منها ما يلي :

- غرس التعاون الإنساني والاجتماعي بين المواطنين ، وخدمة الإنسان لأخيه الإنسان بكل إخلاص وتجرّد من الذاتية .
- إعالة و إغاثة المحتاجين والمعوزين والبؤساء في جميع الحقول والميادين .
- حشد أكبر عدد ممكن من المتطوعين للإستفادة من طاقاتهم في سبيل الخدمة العامة في مجتمعهم .
- تنشيط السياحة في المناطق اللبنانية .
- الحد من أعمال التسوّل والتشرّد عن طريق معالجة أوضاع هؤلاء من الناحية المادية والمعيشية والمعنوية .
- تأمين ما أمكن من خدمات صحية و اجتماعية للمناطق .
- خدمة المناسبات الدينية و الوطنية .
- الإهتمام بتنمية ذوي الإحتياجات الخاصة .
- النهوض بالأسرة على الصعيد الثقافي، الصحي والتربوي.
- تحسين أداء الممرضين والممرضات والعاملين في القطاع الصحي. وخاصة بعد إنتشار جائحة "كورونا" .
- تكريم النخبة من العاملين بإمتياز .
- رفع مستوى الثقافة .
- توسيع آفاق المعرفة ، و تشجيع الطليعة من المواطنين الذين يقدِّمون لوطنهم أعمالاً جليلة و مميزة.

- تأمين مراكز لرعاية الطلاب ليلاً وهي عبارة عن مراكز تقوية ، وأخرى لتعليم الكبار ومحو الأمية .
- تأمين مساكن شعبية لذوي الدخل المحدود، عن طريق المساعدة المباشرة .
- وضع برامج لمكافحة الآفات الاجتماعية .
- المساهمة و المشاركة في وضع برنامج للسير والنظافة . وتنظيم مهرجانات سنوية لتأمين الترفيه والتسلية وملء أوقات الفراغ القاتل.
- العمل مع الناس وتمكينهم من تحقيق أفضل مستويات ممكنة من الرفاهية الشخصية والاجتماعية.
- العمل على تحقيق العدالة الاجتماعية من خلال التنمية الاجتماعية والتغيير الاجتماعي.
- دعم مصالح وحقوق الناس.
- العمل مع الأفراد والجماعات والمجتمعات في السعي وتحقيق الوصول العادل إلى الموارد الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية. تقديم المساعدة، لتحسين رفاهية لأفراد المجتمع.
- تقديم المساعدة للأفراد الذين يُواجهون إعاقة أو مرضًا، يُهدد الحياة أو مشكلة اجتماعية، مثل؛ السكن غير اللائق أو البطالة أو تعاطي المخدرات.
- مساعدة العائلات التي تشكو من مشكلات منزلية خطيرة، تنطوي أحيانًا على إساءة معاملة الأطفال أو الزوج.
- إجراء البحوث والدعوة لتحسين الخدمات، والانخراط في تصميم النظم، أو المشاركة في التخطيط أو تطوير السياسة.

5-دور الجمعيات في تطوير العمل الخدماتي في لبنان

تطوّر دور الجمعيات الأهلية في لبنان من مجرد إغاثة المحتاجين، إلى دور إنمائي متقدّم ومتنوّع على أكثر من صعيد. هذا التطور ساهم بتعزيز حضورها على المسرح اللبناني ما أدّى إلى الإعتراف بها وبدورها الذي بات حاجة ماسة..

وهكذا بات عمل الجمعيات يشمل تقديم الخدمات المختلفة إلى المحتاجين، بما في ذلك الخدمات الصحية، وتلبية الحاجات الخاصة للفقراء، مثل توزيع الأغذية والملابس والأدوية في أوقات الكوارث والأزمات، إلى جانب القيام بأعمال إنمائية تركّز بصفة أساسية على الجماعات الفقيرة إلى جانب تقديم خدمات استشارية، وبحوث ودراسات تلتزم قضايا المجتمع. وطال أيضاً البيئة والمرأة وحقوق الإنسان في أوقات السلم والحرب على حد سواء.